

مترجم: من هي ميليشيات الأسد؟

newsyrian.net/ar/content/ مترجم-من-هي-ميليشيات-الأسد؟



الكاتب الأصلي:

ARON LUND

المصدر:

تاريخ النشر:

2 آذار (مارس)، 2015

الناشر:

CARNEGIE ENDOWMENT FOR INTERNATIONAL PEACE

في تقرير صدر حديثاً لموقع أوبن ديموكراسي روى الصحفيان الهولنديان روبرت دلمرز وتون فوتن تفاصيل رحلتهم الأخيرة عبر المناطق الواقعة تحت سيطرة قوات الرئيس بشار الأسد في سوريا. فقد تنقل الرجلان برّاً تحت حماية الجيش السوري من العاصمة دمشق إلى حلب في الشمال مروراً بحمص - التي استعادها النظام من الثوار- ومن ثم عادوا إلى دمشق. تلك المدن الثلاث هي الأكبر في سوريا ولكل منها ثقلها السياسي والثقافي والاقتصادي وبالطبع السكاني أيضاً. ويتبين لنا أن الأسد ما زال الطرف الرئيسي في هذه الحرب عندما نلاحظ سيطرته على محور دمشق-حمص-حلب بالإضافة إلى حماة وأجزاء كبيرة من الجنوب وحتى بعض المناطق في شمال شرق البلاد (القامشلي والحسكة ودير الزور)، فهو وإن لم يكن يسيطر على كل سوريا لكن سيطرته تشمل "المناطق المفيدة" منها، إذ تحوي تلك الأجزاء ثلثي سكان الدولة على الأقل وفيها تكمن الفرص الاقتصادية المستقبلية. لكن ماذا عن أحوال النظام نفسه؟ إن أكثر ما يلفت الانتباه في تقرير دلمرز وفوتن هو ملاحظتهما

المسجلة عن القوات الموالية للأسد حيث يقولان "خلال سفر دام إثني عشر يوماً قطعنا خلالها مسافة ألف ومئتي كيلومتر لم نر أي أثر للجيش السوري باستثناء القوات الخاصة في حلب"، مضيفين أن الميليشيات هي من تسيطر على معظم نقاط التفتيش العديدة الممتدة على الطرقات.

ظاهرة "الشبيحة"

بدأ تحول دولة الأسد البطيء إلى دولة ميليشيات منذ بدء النزاع في 2011 مع ظهور اللجان الشعبية إما تلقائياً أو عبر تجنيد رجال المخابرات ورجال الأعمال المواليين للأسد في جميع أنحاء سوريا رداً على المظاهرات المناهضة للحكم. وقد أطلقت المعارضة عليهم لقب "الشبيحة" تبعثها في ذلك معظم وسائل الإعلام الدولية التي لم تكن تنقل سوى رواية المعارضة آنذاك، وهو لقب مبهم يشير إلى البلطجية المواليين للأسد ويصنفهم كأفراد عصابات مأجورين أو أتباع الطائفة العلوية التي ينتمي إليها الأسد. إلا أن هذا التعبير لم يوفِ جذور النظام الاجتماعية حقها إذ أن ظاهرة "الشبيحة" لم تكن محصورة بالعلويين بل هي تمثل حركة شعبية لأقلية كبيرة من السكان المواليين للنظام الحاكم صادف أن انضم البعض -وقطعاً ليس الجميع- إليها لأسباب طائفية.

وفي أوائل عام 2011 بدأت الحكومة في إغراء الشباب العاطل عن العمل بالنقود والخدمات مقابل ولائهم، كما أنها وزعت الأسلحة والسيارات والتصاريح الأمنية لمواليها الثقة وعائلاتهم. وبذلك سلحت الشبكة الواسعة من العملاء التي نسجتها على مدى أربعة عقود من حكم عائلة الأسد. ومن الفئات التي لجأ إليها النظام لتجنيد الشبيحة نجد عائلات أفراد الجيش والبعثيين والبلطجية المدعومين من المخابرات والأقليات الدينية وبعض قبائل العرب السنة، إضافة إلى مجموعات أخرى تعتمد مصالحها على بقاء نظام الأسد أو تخشى سيطرة الثوار السنة. كانت مهمة اللجان الشعبية تنحصر في البداية بقمع المظاهرات وتشكيل دوريات لسحق المعارضة في أحيائهم مسلحين في بعض الأحيان بالعصي والأسلحة البيضاء، إلا أن دورهم توسع مع حملهم للأسلحة الأثقل وتضاؤل دور الدولة وعسكرة المعارضة ليصبحوا بمثابة سلطات محلية.

أضف إلى ذلك كله دفع الشيعة الأجانب المدربين بمهارة وحرفية عالية والمدعومين من إيران وعملائها في المنطقة خاصة بعد عام 2013. لعل حزب الله اللبناني هو المثال الأهم والأفضل على ذلك، لكنه قطعاً ليس الوحيد. فقد أرسلت الفصائل العراقية مقاتلين إلى سوريا من مثل منظمة بدر التي تسيطر على وزارة الداخلية العراقية وجهاز الأمن الداخلي، بالإضافة إلى مجموعة عصائب أهل الحق التي انفصلت عن كتائب مقتدى الصدر الشيعية، وغيرها الكثير.

الميليشيات الموالية للأسد

مع ذلك كله تشكلت معظم الميليشيات في سوريا من سوريين تم تجنيدهم وتنظيمهم إلى مجموعات معقدة نوجزها فيما يلي:

- قوات الدفاع الوطني

وهي بلا منازع أكبر ميليشيا في سوريا. تم إنشاؤها من خلال إعادة هيكلة وتسمية اللجان الشعبية المحلية وغيرها من المجموعات المسلحة الموالية للأسد بدءاً من العام 2012. وتشير تقارير عدة إلى تمويل وتدريب إيران لفصائل الدفاع الوطني بمن فيهم المجموعات العلوية والمسيحية المسيطرة على منطقة حمص وحتى بعض القبائل العربية السنية في شرق البلاد الأقصى. وتقع مسؤولية إدارة الشبكة على عاتق قادة إقليميين من مثل فادي صقر الذي يدير قوات الدفاع الوطني في منطقة دمشق تحت إشراف عام من منسق على مستوى الدولة - يقال أنه العميد غسان نصور الذي يتمتع بسلطات واسعة ومقره في دمشق. ورغم اختلاف أحوال قوات الدفاع الوطني من منطقة إلى أخرى إلا أنه من الملاحظ ضعف التنسيق بين الأفرع المختلفة إذ تعمل كل منها بشكل مستقل عن الآخرين. وفيما تبدو بعض الوحدات بأنها مسلحة بالعتاد الثقيل من دبابات وقاذفات صواريخ وتعمل كتشكيلات عسكرية، تنتحل أخرى أساليب تجعلها أقرب إلى العصابات الطائفية أو شبه الإجرامية في لباس مدني.

- كُتائب البعث

تعد كُتائب البعث الميليشيا الوحيدة التي تتمتع بشيء من التنظيم على المستوى الوطني وهي الجناح المسلح للحزب الحاكم في الدولة. قام بإنشائها رئيس الحزب السابق في حلب هلال هلال - وهو نائب رئيس الحزب حالياً - خلال مشاركته في تنسيق الدفاع عن المدينة ضد الثوار في صيف وخريف عام 2012. بقيت قوة المجموعة متمركزة في حلب وأنشئت فروع عدة لها في دمشق واللاذقية وطرطوس والحسكة وعلى الأغلب غيرها من المحافظات أيضاً.

- لواء القدس

أحد الميليشيات الرئيسية الموالية للنظام في حلب، تم إنشاؤه عبر إعادة تنظيم أعوان النظام من الفلسطينيين في مخيم النيرب للاجئين الواقع في شمال غرب سوريا. وبعد انضمام غير الفلسطينيين إليه أصبح خط مواجهة قوي في حلب.

- المقاومة الشعبية

وهي ميليشيا صغيرة في شمال اللاذقية أسسها علي كيالي (واسمه الحقيقي معراج أورال) وهو من أصل تركي ومنفي من بلاده. ومع صغر حجمها بالمقارنة مع قوات الدفاع الوطني في المنطقة إلا أنها نشطة جداً على المستوى الإعلامي. ومما يثير الاهتمام تبنيتها للأيدولوجيات اليسارية المتطرفة رغم أنها تعمل من منطلق طائفي علوي.

- الحزب السوري القومي الاجتماعي

وهو حزب شبه فاشي ينشط في لبنان وسوريا، جاء إلى منطقة حمص وغيرها لمناصرة النظام السوري وتموضع بشكل خاص في المناطق ذات الأغلبية المسيحية.

- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة

أنشئت عام 1968 بعد انشقاقها عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي عرفت باتجاهاتها الماركسية، يرأسها أحمد جبريل ومقرها في مخيمات اللاجئين في دمشق. بقيت على تحالفها مع النظام البعثي السوري وساندته في البداية بكبح تحركات المعارضة في المخيمات إلى جانب مجموعات فلسطينية أخرى موالية للأسد كالصاعقة (الفرع الفلسطيني لحزب البعث) وفتح الانتفاضة (المنفصلة عن حركة فتح التابعة لياسر عرفات عام 1980)، أما الآن فهي تعمل كفصيل مسلح مع قوات الدفاع الوطني والميليشيات الأخرى الموالية للأسد.

وما هذه المجموعات التي أوردناها إلا غيض من فيض، فهناك أيضاً صقور الصحراء بقيادة العقيد محمد جابر، والكوماندوز - الميليشيا العربية السنية في منطقة القامشلي والحسكة - ومجموعات الدروز غير المرتبطة بقوات الدفاع الوطني في محافظة السويداء، ومجموعة الحرس القومي العربي العلمانية وغيرهم الكثير. كما نجد أيضاً المجموعات العشوائية المؤلفة من العشائر أو العصابات أو المرتزقة والتي لا تحمل اسماً وغير منظمة، إضافة إلى القوات المساعدة التي يتم تأسيسها بشكل فردي من قبل قادة عسكريين أو أحد رجال المخابرات.

في المحصلة قد تصل أعداد المجموعات المسلحة التي تقاتل إلى جانب الأسد للمئات.. مع التذكير بأن العديد منها يندرج تحت مسمى قوات الدفاع الوطني أو غيره.

هل بمقدور الأسد السيطرة على هذه الميليشيات؟

في 2015 لا تقوم الحكومة بهجوم ما باستخدام قواتها العسكرية فقط إلا فيما ندر. بل نجد قوات الأسد في المعارك الكبرى يعملون ضمن وحدات تتضمن الميليشيات المحلية والمقاتلين الأجانب والقوات الخاصة التي تأتمر بأوامر قادة كبار مثل العقيد سهيل الحسن في حلب أو العميد عصام زهر الدين في دير الزور.

وبالرغم من عدم توفر أرقام دقيقة إلا أن المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية قدر عدد الضحايا من الجيش النظامي في منتصف عام 2013 بحوالي نصفه، أي أنه تضاعف من مئتين وعشرين ألف جندي إلى قرابة المئة وعشرة آلاف.. وذلك باستثناء الميليشيات. وفي الواقع يمكننا تشبيه الطرف الحالي بما حصل في العراق بعد حزيران 2014. فقد نقلت صحيفة الواشنطن بوست تقديرات الولايات المتحدة والعراق التي تقول بأن حوالي ثمانية وأربعين ألف جندي فقط هم من تبقى من الجيش العراقي الأجوف. وتبين ضالة هذا العدد عند مقارنته بأعداد الميليشيات الشيعية التابعة لإيران والتي تقدر بين مئة ألف ومئة وعشرين ألف من المقاتلين الذين يتلقون التمويل من الحكومة العراقية والأوامر من غيرها.

وقد قال مسؤول في الحكومة السورية لمجلة تايم في 2013 "بعد انتهاء الأزمة سيكون هناك آلاف الأزمات بسبب قادة الميليشيات. فقبل عامين تحول هؤلاء من نكرات إلى أصحاب نفوذ وأسلحة، كيف يمكن الآن أن تقول للشبيحة أن يعودوا نكرات كما كانوا؟" هناك تسريبات قليلة يصعب التحقق منها عادةً تنقل أخباراً عن نزاعات بسيطة ومحاولات تمرد، ولكن حتى الآن لم تقتتل القوات الموالية للأسد فيما بينها في سوريا بشكل جدي. وفي نظام ينخره الفساد كالنظام السوري لا عجب أن نرى القادة المحليين يلعبون دوراً رئيسياً في اقتصاد الحرب - كما يفعل نظراؤهم من الثوار - حيث يمولون أنفسهم عبر صفقات الحماية والسرقات والجرائم المنظمة. كما تتمتع بعض الميليشيات الفاعلة بتمويل خارجي - خاصة من إيران - وفي المحصلة قد ينحاز ولاؤها لطهران أكثر من دمشق.

سوف يضطر الأسد على المدى الطويل لتغيير سياساته ليبقى على دعم قادة الميليشيات بعدما بلغ نفوذهم مبلغه اليوم. وقد تم اتخاذ الإجراءات اللازمة للحول دون الانشقاقات والتمرد ومنها إنشاء قوات الدفاع الوطني حيث كان الهدف منها السيطرة على ميليشيا فوضوية وربطها بشكل وثيق بالحكومة المركزية. ولعل قوات الدفاع الوطني تتلقى الدعم من إيران وتؤتمر بأوامرها إلى حد ما، إلا أن النظام كان حريصاً على الحفاظ على شكل من أشكال القيادة المركزية في دمشق وإحكام السيطرة على الميليشيات حيث ترأس هلال الأسد - ابن عم بشار - فرع قوات الدفاع الوطني في اللاذقية قبل وفاته في آذار 2014. أضف إلى ذلك قيام الحكومة بإنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية تعمل على توفير الفرص لمقاتلي الميليشيات المدنية وعائلاتهم للانخراط في المجتمع بحسب ما قاله خضر خضور الباحث في مركز كارنيجي للشرق الأوسط.

لكن الخطر الذي يحدق بنظام الأسد جراء انهيار النظام الاقتصادي سوف يجعل من التنازلات أمراً خطيراً للغاية. فعندما تنفذ أمواله سيضطر للتنازل عن بعض من النفوذ. وكلما انضمت أعداد أكبر من الميليشيات إلى المجتمع كلما أصبح المجتمع رهناً لهم ولمصالحهم العنيفة والطائفية والقبلية الضيقة الأفق وفي بعض الأحيان الإجرامية.

ويتجلى خير مثال على هذه المعضلة إصدار الأسد في كانون الأول 2014 مرسوماً يقضي بضمان 50% من الوظائف الحكومية لعوائل "الشهداء" من الميليشيات وقوات الأمن. يبدو ذلك منطقياً جداً لضمان ولاء أهم المقاتلين في صف النظام، غير أنه يدل على تخلي الأسد عن إعادة مناطق سيطرة الثوار إلى حكم الدولة. فيتخندق بذلك مع الميليشيات وما تبقى من جيشه بعد أن خلا وفاضه من الطعوم ولم يبق سوى العصا.